شفيق الحوت

فايز صائغ
كان أستاذاً لجيل!!

هذه الكلمات ليست رثاء في فايز صائغ. لقد استعملت كل الكلمات أمام هذا الشلال المتدفق من الدم الفلسطيني وأقرت بعجزها عن الوفاء بمهمتها، ولم يبق منها مما يقال في مثل هذه المناسبة اليومية، سوى تلك التي تُجدد العهد على المضي في طريق الثورة حتى النصر. ولا أظن أن روح الفقيد الراحل ترتاح لسماع أيّ قول أكثر من ذاك القسم العظيم.

كذلك، إن هذه الكلمات ليست تأريخا لسيرة الفقيد، ولا هي تسجيلاً لما قدّم وأعطى، فسيرته الحافلة وعطاؤه الكبير، يحتاجان إلى دراسة عميقة ودقيقة، أمل أن تجد القادر على الوفاء بها، لا من أجل الفقيد وحسب، وإنما أيضا، من أجل القضية التي نذر نفسه لها، وأعطاها أعز ما لديه، ذلك القلب الذي توقف عن الخفقان.

هذه الكلمات ليست أكثر من خواطر دارت في خلدي عندما فجعت بالخبر الاليم. كنا لحظتئذ، أعضاء وفد المنظمة إلى الأمم المتحدة، في قاعة الجمعية العامة، نناقش ونحاور حول «جملة» في «فقرة» من مشروع قرار حول قضية فلسطين. تلك «الجملة» بالذات، كانت من صياغة الفقيد، أوصانا بضرورة إضافتها.

ووصل الخبر، وبدأ ينتشر همسا بين الوفود، لينشر على جو القاعة مسحة من الوجوم والحزن والأسى. ولا يوجد في الامم المتحدة، بل وفي العالم كله من سمع بقضية فلسطين ولم يسمع بفايز صائغ. من لم يلتق به قرأ له، أو شاهده على الشاشة الصغيرة، أو استمع إلى حديث أو محاضرة له مما كان يحرص الكثيرون على تسجيله في أشرطة كاسيتات لتعمّ في جميع الأندية والأوساط.

فعلاً، لم نرد أن نصدق الخبر. كان يعز علينا أن نصدقه، ونحن الذين توالينا على محادثة فايز عبر الهاتف قبل ساعات من الخبر. لعلها كانت آخر مخابرة هاتفية له، وتحولقنا حول الهاتف مرة أخرى، ونحن هيّابون من رفع السماعة للسؤال والاستفسار.